المقرر الرابع: الحديث الرابعَ عشر

كثرة الفتن

كثرة الفتن

١٤. عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ؛ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ للهِ أَبُوكَ! قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ: أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ. قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ. قُلْتُ: لَا بَلْ يُكْسَرُ. وَحَدَّثْتُهُ: أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ، حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ.

رواه مسلم (١٤٤)كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ.

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

١. التمهيد:

الفتن التي يتعرض لها المسلم أنواع كثيرة، وأنماط متشعبه، منها ما يتعلق بالذات، ومنها ما يتعلق بالغير، فقد يُفتن الرجل في ماله، وقد يُفتن في علمه، وقد يفتن في صحته.

والحديث الذي بين أيدينا اليوم يشير إلى نوعين من الفتن التي قد يتعرض لها المسلم، مع بيان الطرق الصحيحة لمواجهتها وعدم التأثر بها.

فهلم بنا أخي الطالب لمدارسة الحديث، وتَعرَّف على ما اشتمل عليه من فتن وابتلاءات، وسبل مواجهتها؛ لتنال رضا الله تعالى ومغفرته ورضوانه.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا - بعد عون الله تعالى - على أن:

١. تُترجِم لراوي الحديث.
٢. تشرح لغويات الحديث.
٣. تُبين ما يُرشد إليه الحديث.
٤. تشرح المقصود بالفتن.
٥. تُبرهن من خلال الحديث على خطورة الوقوع في الفتن.
٦. تُفرِّق بين أنواع الفتن.
٧. تصف أحوال القلوب عند ظهور الفتن.
٨. تُوضِّح طرق مواجهة الفتن.
٩. تَحْذَر من الوقوع في الفتن.
١٠. تحرص على الأعمال الصالحة التي تنجيك من الفتن.

٣. موضوعات الحديث:

أخي الطالب، تَضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه - بعون الله تعالى - عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الخريطة التالية:

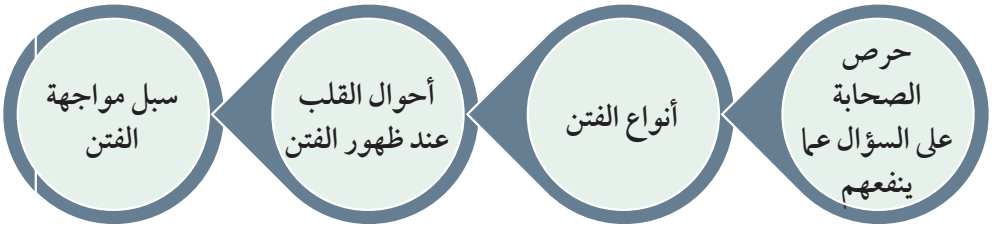

ثانيًا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلم درس اليوم:

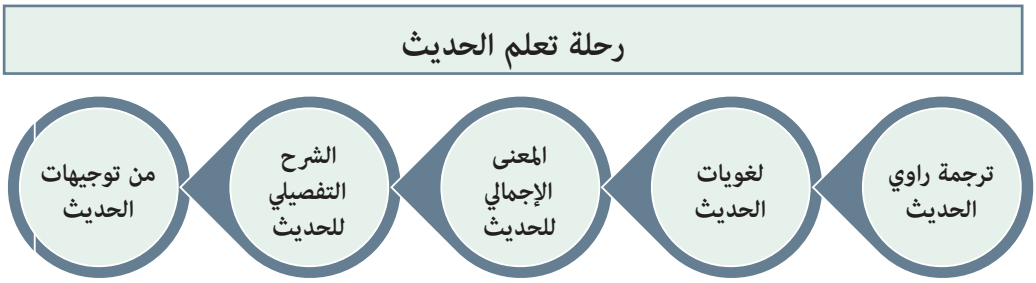

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: حذيفةُ بنُ اليَمَانِ بنِ حسلِ بنِ جابرٍ، وقيل: حذيفةُ بنُ اليَمَانِ؛ لأنه من وَلَدِ اليَمَانِ بنِ جروةَ بنِ الحارثِ، أبو عبدِ الله، هاجر هو وأبوه إلى النبيِّ ﷺ، فخيَّره بين الهجرة والنُّصرة، فاختار النُّصرة، وحالف بني عبَد الأشهل، أَسلَم وأراد شهود بدر، فصدَّه المشركون، وشَهِد أُحُدًا، والخندقَ، وما بعدَها، توفِّيَ سنةَ (٣٦هـ)[٢٢٥].

(٢٢٥) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ٦٨٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٣٣٤)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٤٦٨).

نشـــــاط (١) اقرأ وحلل، ثم استخرج الإجابة الصحيحة

حكى حذيفة بن اليمان ﷺ قال:

كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٢٢٦).

أولًا: تفرَّد حذيفة عن غيره بأمر فما هو؟ وما تعليله لذلك؟

.....

.....

ثانيًا: ما الفوائد التي حصلها حذيفة نتيجة لسؤاله؟

.....

.....

١. لغويات الحديث:

الجملة	المعنى
الْفِتَنَ	أصلُ الفتنة الامتحانُ والاختبارُ، ثم صارت في العُرف عبارةً عن: كل أمر كشَفه الاختبارُ عن سوء.
فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ	(سَكَتَ وَأَسْكَتَ (لُغتان بمعنى صَمَتَ، وقال الأصمعيُّ: سَكَتَ: صَمَتَ، وَأَسْكَتَ: أَطْرَقَ.
لله أبوكَ	لله أبوك كلمة مدح تَعتاد العرب الثناء بها؛ فإن الإضافةَ إلى العظيم تشريف، كما يقال: «بيتُ الله، وناقة الله»، فإذا وُجِد من الولد ما يُحمَد، قيل له: لله أبوكَ حيث أتى بمثلِكَ.
أُشرِبها	قَبِلَها ودخلَتْ فيه، وسكنَتْ إليه.

(٢٢٦) رواه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

الجملة	المعنى
نُكتة	أثرٌ قليلٌ كالنُّقطة.
مُرْبادًّا	منصوب على الحال وهو لونٌ بين السَّوَاد والغُبرة.
مُجَخِّيًا	مائلًا قُلِب ونُكِّس حتّى لا يَعلَق به خير ولا حِكْمة.
الأغاليطُ	جمع أُغلوطة، وهو ما يُغلَط فِيه.

٢. المعنى الإجماليُّ للحديث:

عَنْ حُذَيْفَةَ قال: (كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟)؛ أي: يَذكُر الفِتَن والبلاءاتِ التي ستَحدُث. (فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟)؛ أي: فتنته بأن يأتيَ من أجْل أهله بما لا يحِلُّ شرعًا من القول والفعل، وفتنته في جاره بأن يتمنَّى مثلَ حاله إنْ كان متَّسعًا مع تمنِّي زوال النعمة عنه. (قَالُوا: أَجَلْ)؛ أي: نعمْ، هذا الذي نُريده بالفتنة. (قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ)؛ أي: إن فتنة الرجُل في أهله وجاره هي من صغائر الذنوب التي تُكفِّرها الأعمالُ الصالحةُ. (وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟)؛ أي: إنه يسأل عن الفتنة الكُبرى العامَّة التي تضطربُ بشدَّة كالبحر، ويدفع بعضُها بعضًا، فهي كالموج في شدَّة عِظَمها، وكثرة شيوعها، قَالَ حُذَيْفَةُ: (فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا)؛ أي: فسكت القوم، فقال حذيفةُ: أنا سمعتُ النبيَّ ﷺ يذكُر الفتنة الكبرى التي تسأل عنها.

قَالَ: (أَنْتَ لله أَبُوكَ!): لله أبوكَ: كلمة مدح تَعتاد العرب الثناء بها؛ لأن الإضافةَ إلى العظيم تشريف.

قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا»؛ أي: تَلصَق الفتن - فتنة بعد أخرى - بعرض القلوب - وهو جانبها - كما يَلصَق الحصير بجنب النائم، ويؤثِّر فيه شدَّةُ التصاقها به. «فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ»؛ أي: فأيُّ قلب أُشرب الفتنة، وحلَّت منه محلَّ الشراب، نُكت فيه نقطة سوداء. «وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»؛ وأي قلب ردَّها ودَفعها، نُكت فيه نقطة بيضاء. «حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»؛ أي: حتى تنقسم القلوب إلى قسمين؛ الأول: الذي يردُّ الفتنةَ ويدفعُها يَصير كالحجر الأملس (الصَّفا (في شِدَّته على الإيمان ودفع الفتن، وسلامته من الخلَل، فلا تضرُّه فتنةٌ أبدًا. «وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا» والثاني: الذي أُشرِب الفتنةَ يصير أسودَ اللون، يختلط سَوَادُه بكُدرة، وهو مع ذلك مقلوب

منكوس كالكوز المائل الذي لا يثبُت الماء فيه. وحالُه أنه: «لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

قَالَ حُذَيْفَةُ: (وَحَدَّثْتُهُ: أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ»؛ أي: إن هذه الفتنَ لا يخرُجُ منها شيءٌ في حياتك يا أمير المؤمنين، فبابُها موصَدٌ ما دمتَ حيًّا؛ ولكن هذا الباب يوشك أن يُكسَر.

قَالَ عُمَرُ: (أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ)؛ وذلك لأن المكسور لا يمكِن إعادتُه، بخلاف المفتوح، وقوله: «لا أبا لكَ» كلمة تذكرها العرب للحثِّ على الشيء، ومعناها: جِدَّ في هذا الأمر، وتأهَّبْ تأهُّبَ مَن ليس له أبٌ يُعاونُه.

قال حذيفة: (قُلْتُ: لَا؛ بَلْ يُكْسَرُ): يؤكِّد حذيفةُ ﷺ على أن باب الفتنة سيُكسَر. (وَحَدَّثْتُهُ: أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ)؛ أي: إن باب الفتنة سوف يُكسَر بموت رجُل، وهو عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ. (حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ)؛ أي: حدَّثتُه حديثًا صِدقًا محقَّقًا ليس فيه غلطٌ؛ إذ هو من حديث النبيِّ ﷺ الذي لا يَنطِق عن الهوى.

٣. الشرح المفصَّل للحديث:

اعتاد الصحابةُ رضي الله عنهم أن يسألوا فيما ينفَعُهم في دينهم، لا سيَّما الأمورُ التي تتعلَّق بالفتن والابتلاءات؛ لكي يُسارعوا إلى النجاة منها، فيسأل الفاروق عمرُ ﷺ الصحابةَ فيقول: أيُّكم سمعَ رسولَ الله يذكُر الفتنَ؟ فيُجيبه طائفةٌ منهم بأنهم سمِعوا النبيَّ ﷺ يتكلَّم عن الفتن، وأصلُ الفتنة الامتحانُ والاختبارُ، ثم صارت في العُرف عبارةً عن: كل أمر كشَفه الاختبارُ عن سوء[٢٢٧].

لكن عمر ﷺ يستدرك ويقول: لعَلَّكُم تَعْنونَ فِتنة الرَّجلِ في أهلِهِ وجارِهِ؟

أي: بأن يأتيَ من أجْلهم بما لا يحِلُّ من القول والفعل؛ فإن فِتنتَه في ولده تكون بفَرط المحبَّة والشغل به عن كثير من الخيرات، أو التوغُّل في الاكتساب من أجْلهم من غير اتِّقاء المحرَّمات، وفِتنتُه في جاره بأن يتمنَّى مثلَ حاله إن كان متَّسعًا مع الزوال[٢٢٨]. وإنما خصَّ الرجُل لأنه غالبًا صاحب الحُكم في داره وأهله، وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم[٢٢٩].

فيردُّون عليه: أجَلْ؛ أي: نعمْ، هذا الذي نُريده بالفتنة!

---

(٢٢٧) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (١/ ٣٥٧).

(٢٢٨) «إرشاد الساري» للقسطلانِّي (١/ ٤٨٠).

(٢٢٩) «فيض القدير» للمناويِّ (٤/ ٤٢٣).

فيقول عمر ﷺ: تلك تُكفِّرها الصلاةُ والصيامُ والصدقةُ؛ أي: إن فتنة الرجُل في أهله وجاره هي من الصغائر التي تُكفِّرها الأعمالُ الصالحةُ كالصلاة والصيام والصدقة؛ كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلواتُ الخمسُ، والجمُعةُ إلى الجمُعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكفِّراتٌ ما بينَهن إذا اجتنبَ الكبائر»[٢٣٠].

نشـــاط (٢) اقرأ وحلل ثم أكمل الجدول

قال تعالى: محذرا من أسباب الفتنة ونتائجها ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور:٦٣)، والفتنة هي خرق للاستقامة بارتكاب المحظورات، والتي يترتب عليها عقوبة الله تعالى إن لم يتدارك العبد أمره ويكفر هذه السيئات.

حلل الأدلة من القرآن والسنة المدونة في الجدول التالي مستخرجًا منها وسائل تكفير السيئات وغفرانها:

النص	وسيلة تكفير السيئات وغفرانها
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ (العنكبوت:٧).	
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ (الفرقان:٧٠).	
قوله ﷺ: «مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».	
قوله ﷺ: ««مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».	
قوله ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا».	
مَنْ قَالَ: « سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ».	

(٢٣٠) رواه مسلم (٢٣٣).

ثم يُعيد الفاروق السؤالَ ويَزيده إيضاحًا: «ولكن أيُّكم سمعَ النبيَّ ﷺ يذكُر الفتن التي تموج موجَ البحر؟»؛ أي: إنه يسأل عن الفتنة الكُبرى العامَّة التي تَمُوج - أي: تضطربُ - كالبحر، ويدفع بعضُها بعضًا، فهي كالموج في شدَّة عِظَمها، وكثرة شيوعها[٢٣١].

فيَحكي حذيفة ﷺ المشهدَ بعد سؤال عمر بقوله: «فأسكت القومُ»؛ أي: سكتوا، فنهض حذيفةُ وقال: أنا. أي: أنا سمعتُ النبيَّ ﷺ يَذكُر الفتنة الكبرى التي تسأل عنها. فقال عمر ﷺ: أنت لله أبوكَ. وهي كلمة مدح تَعتاد العرب الثناء بها؛ لأن الإضافةَ إلى العظيم تشريف، كما يقال: «بيتُ الله، وناقة الله»، فإذا وجدوا من الولد ما يُحمَد، قيل له: لله أبوكَ حيث أتى بمثلك[٢٣٢].

ثم يقصُّ حذيفة ﷺ ما سمعه من النبيِّ ﷺ: «تُعرَض الفتنُ على القلوب كعَرض الحصير عُودًا عُودًا»؛ أي: تَلصَق بعرض القلوب - وهو جانبها - كما يَلصَق الحصير بجنب النائم، ويؤثِّر فيه شدَّةُ التصاقها به، والتَّكرار هنا؛ أي: تَظهَر لها فتنةٌ بعد أخرى. وقوله: «كالحصير»؛ أي: كما يُنسج الحصير عُودًا عُودًا، فإن ناسج الحصير عند العرب كلَّما صَنَع عُودًا أخذ آخَرَ ونسجَه، فشبَّه عَرض الفتن على القلوب واحدةً بعد الأخرى بعَرض قُضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحد[٢٣٣].

ثم يُخبر النبيُّ ﷺ: «فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ سوداءُ»، ومعنى أُشرِبَها؛ أي: دخلَتْ فيه دخولًا تامًّا، وحلَّت منه محلَّ الشراب؛ كما قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣]؛ أي: حُبَّ العِجل[٢٣٤]. وقوله: «نُكِتَ نُكتة»؛ أي: نقطة، و«أيُّ قلب أنكرها»؛ أي: ردَّها.

وقوله ﷺ: «حتى تَصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السموات والأرض»؛ أي: إن قلبه حين يُنكر الفتنةَ ويَردُّها يصيرُ مثل الصفا، (وهو الحجر الأملس (في شِدَّته على الإيمان وسلامته من الخلَل، وأن الفتن لم تَلصَق به، ولم تؤثِّر فيه؛ لأن الصفا لا يَعلَق به شيءٌ[٢٣٥]. هذا حالُ القلب الأول الذي يردُّ الفتنةَ ويدفعُها.

وأما القلبُ الآخَرُ فهو «أسودُ مُرْبادٌّ كالكوز مُجخِّيًا»؛ أي: أسود اللون، يختلط سَوَادُه بكُدرة، وهو مع ذلك مقلوب منكوس كالكوز المائل الذي لا يثبُت الماء فيه. وحالُه أنه: «لا يعرِف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أُشرِبَ من هواه»، والمعنى أن الرجُل إذا تَبِعَ هواه، وارتكب

---

(٢٣١) «شرح السيوطيِّ على مسلم» (١/ ١٦٤).

(٢٣٢) السابق (٢/ ١٧١).

(٢٣٣) السابق (٢/ ١٧١-١٧٢).

(٢٣٤) «المُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبيِّ (١/ ٣٥٩).

(٢٣٥) انظر: «شرح النوويِّ على مسلم» (٢/ ١٧٢).

المعاصيَ، دَخَل قلبَه بكلِّ معصية يتعاطاها ظُلمةٌ، وإذا صار كذلك افتُتِن وزال عنه نورُ الإسلام، والقلبُ مثلُ الكوز، فإذا انكبَّ انصبَّ ما فيه، ولم يَدخُله شيءٌ بعد ذلك[٢٣٦].

نشـــــاط (٣) فكر ثم أجب

من خصائص الفتن أنها كثيرة متتابعة مُتنوعة ومتُعددة الصور والشدة والمقدار، والثبات في مواجهتها ليس بالأمر الهين، ولهذا أولى النبي ﷺ هذا الأمر اهتمامًا خاصًا، منها قوله ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»[٢٣٧].

أولًا: استخرج الفتن المذكورة في الحديث.

.....

.....

ثانيًا: ما التوجيه النبوي للتحصن من هذه الفتن؟

.....

.....

ثالثًا: وضح مدى اتفاق قوله ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[٢٣٨] مع التوجيه السابق.

.....

.....

.....

(٢٣٦) انظر: «شرح النوويِّ على مسلم» (٢/ ١٧٣).

(٢٣٧) رواه الترمذي (٢٣٠٦).

(٢٣٨) رواه مسلم (٢٨٦٧).

نشـــــاط (٤) تأمل ثم أكمل الجدول

علق الله تعالى النجاة يوم القيامة على سلامة القلب، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء:٨٩)

وقد قسم حذيفة ﷺ: القلوب أربعة: قلب أَجْرَدُ، فيه سِراج يُزهِر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أَغلَفُ، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوسٌ، فذلك قلب المنافق، عَرَف ثمّ أنكَر، وأَبصَر ثمّ عَمِيَ، وقلب تَمُدُّه مادَّتان: مادَّة إيمان، ومادَّة نفاق، وهو لِما غَلَب عليه منهما[٢٣٩].

قارن بين تقسيم حذيفة مميزًا بين ما اتفق فيه مع الحديث وما زاده عن الحديث من أنواع القلوب.

تقسيم حذيفة	ما يقابله من الحديث
قلب أَجْرَدُ، فيه سِراج يُزهِر.	
وقلب أَغلَفُ.	
وقلب منكوسٌ عَرَف ثمّ أَنكَر، وأَبصَر ثمّ عَمِيَ.	
وقلب تَمُدُّه مادَّتان: مادَّة إيمان، ومادَّة نفاق، وهو لِما غَلَب عليه منهما.	

(٢٣٩) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ١٢).

نشـــــاط (٥) فكر وقارن ثم أجب

قال ابن القيم -رحمه الله: الفتن التي تُعرَض على القلوب هي أسباب مَرِضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشُّبهات، فتن الغيِّ والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظُّلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية تُوجب فساد العلم والاعتقاد(٢٤٠).

أولًا: عَدِّد الفتن الواردة في كلام ابن القيم رحمه الله.

.....

.....

.....

.....

ثانيًا: بين مدى توافق أثر الفتن على القلب في كلام ابن القيم -رحمه الله - وبين الأثر الوارد في الحديث.

.....

.....

.....

.....

ثم يُبيِّن حذيفةُ ﷺ حالَ الفتنة في زمن عمرَ ﷺ، فيقول: (وحدَّثتُه: أن بينك وبينه بابًا مُغلَقًا يُوشِك أن يُكسَر)؛ أي: إن هذه الفتن لا يخرُجُ منها شيءٌ في حياتك يا أمير المؤمنين، فأبوابُها موصَدةٌ ما دمتَ حيًّا. فيسأله عمرُ ﷺ: (أكسْرًا لا أبَا لكَ؟ فلو أنه فُتِح لعلَّه كان يُعاد)؛ وذلك لأن المكسور لا يمكِن إعادتُه بخلاف المفتوح، ولأن الكسرَ غالبًا لا يكون إلا عن إكراهٍ وغلَبةٍ وخلاف عادة. وقوله: (لا أبا لكَ (كلمة تذكرها العرب للحثِّ على الشيء، ومعناها: أن الإنسان إذا كان له أبٌ وحَزَبه أمرٌ ووقع في شدَّة، عاوَنَه أبوه، فإذا قيل: «لا أبا لكَ»، فمعناه: جِدَّ في هذا الأمر، وشَمِّرْ، وتأهَّبْ تأهُّبَ مَن ليس له معاوِنٌ(٢٤١).

يُؤكِّد حذيفةُ ﷺ على أن باب الفتنة سيُكسَر، ويقول: (وحدَّثتُه: أن ذلك الباب رجُلٌ يُقتَل، أو يموت حديثًا ليس بالأغاليط)؛ أي: إن باب الفتنة سوف يُكسر بموت رجُل، وهو عمر بن الخطاب ﷺ. وسبب إيراده مُبهمًا يَحتمِل أن حذيفةَ سمِعَه هكذا من النبيِّ ﷺ دون تعيين، وربما

(٢٤٠) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ١٢).

(٢٤١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧٤).

يكون حذيفة قد عَلِم أنه يُقتل؛ لكنه كرِهَ أن يخاطِب عمر ﷺ بالقتل، وذلك من حُسن أدبه[٢٤٢] ﷺ، وفي الصحيح أنهم طلبوا من مسروق أن يسأل حذيفةَ عن الباب، فسأله فقال حذيفة: عمر ﷺ، قال: قلنا: فعلم عمرُ مَن تَعني؟ قال: نعمْ[٢٤٣].

وقوله: (حديثًا ليس بالأغاليط)، فهي جمع أُغلوطة، وهي التي يُغالَط بها، فمعناه: حدَّثتُه حديثًا صِدقًا محقَّقًا ليس هو من صُحُف الكتابيِّين، ولا من اجتهاد ذوي الرأي؛ بل من حديث النبيِّ ﷺ الذي لا يَنطِق عن الهوى[٢٤٤].

نشـــــاط (٥) تأمل ثم اربط وقارن

صعد النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ رضي الله عنهم فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»[٢٤٥].

والمعلوم أن الصديق هو أبو بكر ﷺ إذن فالشهيدان هما عمر وعثمان رضي الله عنهما.

أولًا: هات من حديث حذيفة ما يتوافق مع هذا الحديث فيما يخص عمر رضي الله عنه.

.....

.....

ثانيًا: قارن بين استشهاد عمر وعثمان رضي الله عنهما من حيث الأسباب والنتائج.

.....

.....

.....

ثالثًا: من خلال الربط بين سيرة عمر وحديث حذيفة رضي الله عنهم، برهن على أهمية قوة الحاكم ودوره في حفظ الأمة؟

.....

.....

.....

.....

.....

(٢٤٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧٥)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٥٠).

(٢٤٣) رواه البخاريُّ (١٤٣٥).

(٢٤٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧٥).

(٢٤٥) رواه البخاري) ٣٦٧٥)

٤. أحاديث للمدارسة:

لعلنا استشعرنا في الحديث الذي معنا هنا خطورة الفتن والتعرض لها، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم وجهنا إلى ما يقوينا في مواجهتها، ويعيننا بعد توفيق الله تعالى على تجاوز مخاطرها ومهالكها، ومن ذلك حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(٢٤٦).

فالفتن بلاءٌ عظيم يَبتلي الله به هذه الأمَّة، وقد أخبرَنا النبيُّ ﷺ بحدوثها قبلَ وقوعها، وهذا من دلائل نبوَّته، ومعجزة ظاهرة له، وَقَعت كما أخبر بها؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ»(٢٤٧)؛ أي: الفتن، وفي الحديث دلالةٌ على أن زيادة الفتن وشُيوعها وظهورها من علامات قُرب الساعة، نسأل الله السلامة والثبات، وقد فسَّرها النبيُّ ﷺ بالقتل أيضًا كما في حديث أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ»(٢٤٨).

ووجَّهَنا ربُّ العزَّة - عزَّ وجلَّ - إلى الصبر والصلاة عند مواجهة المُلِمَّات والشدائد والفتن؛ فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة: ٤٥]، وأرشَدَنا النبيُّ ﷺ لِما ينبغي على المسلم عَمَلُه حين حدوثها؛ حتى يَسلَم من شرِّها بإذن الله، فأمَرَنا بالاستعانة بالعبادة في مواجهة هذه الفتن، وأن ثوابها وقتَ الفِتَن يَعدِل ثواب الهجرة، فقال صلى الله عليه وسلم «كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»؛ أي: مثلُ ثَواب الهجرة إلى النبيِّ ﷺ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وقانا الله وإياك شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

٥. من توجيهات الحديث:

- في الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يسألوا فيما ينفَعُهم في دينهم، لا سيَّما الأمورُ التي تتعلَّق بالفتن والابتلاءات؛ لكي يُسارعوا إلى النجاة منها.
- في الحديث بيان أن الصلاة والصدقة والأعمال الصالحة تُكفِّر صغائرَ السيِّئات، وكما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الصلواتُ الخمسُ، والجمُعةُ إلى الجمُعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكفِّراتٌ ما بينَهن إذا اجتنبَ الكبائر»(٢٤٩).

---

(٢٤٦) رواه مسلم (٢٩٤٨).

(٢٤٧) رواه البخاريُّ (٧٠٦٢)، ومسلم (٢٦٧٢).

(٢٤٨) رواه البخاريُّ (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧)

(٢٤٩) رواه مسلم (٢٣٣).

- كان الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مأمنًا من الفتن، ومِفتاحًا لعزِّ الإسلام مدَّةَ خلافته؛ ففي الحديث أنَّ الحائل بين الفِتَن والإسلام عمرُ - رضي اللهّ عنه - وهو الباب، فما دام حيًّا لا تَدخُل الفِتن، فإذا مات، دخلت الفتن(٢٥٠).
- إذا اسودَّ القلب وانتكس، عَرَض له من هاتين الآفتين مَرَضان خَطِران مترامیان به إلى الهلاك؛ أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكَر، فلا يعرف معروفًا، ولا يُنكِر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروفَ منكرًا، والمنكَرَ معروفًا، والسنَّةَ بدعة، والبدعةَ سنَّة، والحقَّ باطلًا، والباطلَ حقًّا. الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ﷺ، وانقياده للهوى، واتِّباعه له(٢٥١).
- في الحديث علامةٌ من علامات النبوَّة، فإن الفتن ظهرت بعد موت عمرَ ﷺ كالفتنة التي قُتل فيها عثمانُ بنُ عفَّانَ ﷺ، ثم ظهور الخوارج، والقتال بين عليٍّ ومخالفيه.
- استحبابُ مذاكرة العلم، وطرح الإمام أو الداعية للأسئلة.
- عدمُ الفُتيا بغير علم؛ فسكوت الصحابة إنما كان لعدم علمهم بما سأل عنه عمرُ رضي الله عنه.
- يجوزُ أن يزيدَ اهتمامُ طالب العلم بنوع مُعيَّن من العلوم، بعد تحصيله لأساسيات الأنواع الأخرى؛ فحذيفةُ ﷺ كان أحرصَ الناس على حفظ أحاديث الفتن والشرور.
- تشجيعُ الإمام لَمن يحفَظ، ويهتمُّ بالعلم، والدعاء له؛ كقول عمر: «لله أبوك».
- إن الرجُل إذا تَبِعَ هواه، وارتكب المعاصيَ، دَخَل قلبَه بكلِّ معصية يتعاطاها ظُلمةٌ، وإذا صار كذلك افتُتِن وزال عنه نورُ الإسلام، والقلبُ مثلُ الكوز، فإذا انكبَّ انصبَّ ما فيه، ولم يَدخُله شيءٌ بعد ذلك(٢٥٢).
- إن القلب إذا افتُتن وخرجت منه حُرمة المعاصي والمنكرات، خرج منه نور الإيمان كما يَخرُج الماء من الكوز إذا مال وانتكس.
- على المؤمن ألَّا يستسلم لمهلِكات الذنوب؛ بل يُسارع في التوبة ليمحوَ آثارَ سواد المعصية قبل أن يستفحِلَ أمرُها.
- القلب الأبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهَر فيه مصباحه، فإذا عُرِضت عليه الفتنة أنكرها وردَّها، فازداد نوره وإشراقه وقوَّته(٢٥٣).
- المعاصي والذنوب تُعمي بصائرَ القلوب، فلا يُدرَك الحقُّ كما ينبغي، وتضعُف قوَّتُه وعزيمتُه، فلا يصبر عليه؛ بل قد يتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه كما ينعكس

---

(٢٥٠) «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧٤، ١٧٥).

(٢٥١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ١٢)

(٢٥٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٧٣).

(٢٥٣) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ١٢).

سيره، فيدرك الباطلَ حقًّا، والحقَّ باطلًا، والمعروفَ منكرًا، والمنكر معروفًا، فينتكس في سيره[٢٥٤].

من روائع الشعر

وَيَبِيتُ قَلْبِي خَافِقًا يتَضَرَّعُ ... بَيْنَ الرَّجَاءِ وَخَوْفِ رَبٍ مَدْمَعُ
قَلْبٌ تَوَشَّحَ بِالسَّوَادِ حَيَاتَهُ ... يَا لَلذُّنُوبِ سَوَادُهَا لا يُدْفَعُ!
عَاشَ الحَيَاةَ تَغُرُّه بِغُرُورِهَا ... فِي زَيْفِهَا وَخِدَاعِهَا كَمْ يَطْمَعُ!
فَيَلُوحُ فِي ظَمَإِ النُّفُوسِ خِدَاعُهَا ... فَتَهُبُّ لِلزَّيْفِ الغَرُورِ وَتُهْرَعُ
وَتَظُنُّ فِي الدُّنْيَا سَخَاءً غَامِرًا ... فَإِذَا سَرَابٌ سَاخِرٌ يَتَرَبَّعُ
وَالْيَوْمَ فِي الْغُفْرَانِ صَارَ مُؤَمِلًا ... خَبَرَ الحَيَاةَ، بِزَيْفِهَا لا يُخْدَعُ

***

عَجَبًا لِهَذَا القَلْبِ مَا أَقْسَاهُ! ... لا تَعْجَبُوا فَالرَّانُ قَدْ غَطَّاهُ
قَلْبٌ يُشَبَّهُ فِي القَسَاوَةِ بِالحَصَى ... وَبِذِكْرِ مَوْتٍ يَسْتَرِدُّ شِفَاهُ
لِلقَبْرِ قَدْ أُمِرَ الفَتَى بِزِيَارَةٍ ... كَيْمَا تُولَ بِفِكْرِهِ أُخْرَاهُ
لَكِنَّنَا فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَمْرِنَا ... لَمْ نتَّعِظْ وَالذَّنْبُ قَارَفْنَاهُ

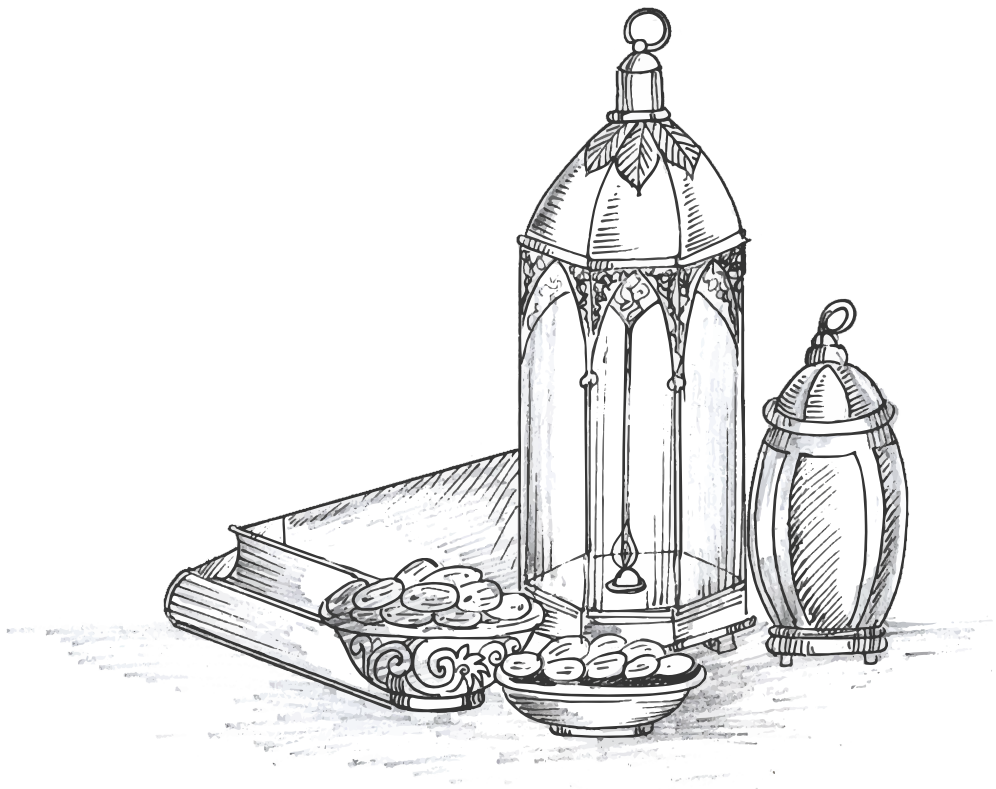

(٢٥٤) «الجواب الكافي» لابن القيم) ٩٣ - ٩٤ .)

ثالثًا: التقويم

ضع علامة ☑ أمام العبارة الصحيحة وعلامة ☒ أمام العبارة الخطأ فيما يلي:

١. خير النبيُّ ﷺ، حذيفة بن اليمان بين الهجرة والنُّصرة، فاختار الهجرة. ( )
٢. «تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ» وصف يدل على شدة الفتن وقوتها. ( )
٣. «لله أبوك» كلمة مدح تَعتاد العرب الثناء بها. ( )
٤. الفتنة في أصلها تطلق على الشهوات واتباع الهوى فقط. ( )
٥. (رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ (إشارة لقرب وفاة حذيفة بن اليمان. ( )
٦. حَرَصَ الصحابة رضي الله عنهم على أن يسألوا فيما ينفَعُهم في دينهم. ( )
٧. الحديث يرشدنا إلى المبادرة إلى التوبة النصوحة قبل ظهور علامة الساعة الكبرى. ( )
٨. أحوال القلوب عن ظهور الفتن ما بين أمرين هما: التأثر بها، أو إنكارها وردها. ( )
٩. الحديث فيه دلالة على فضل عمر رضي الله عنه. ( )

س٢: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

١. **قوله: (فَأَسْكَتَ الْقَوْم) في الحديث تعني:**

- مُنِعوا من الكلام.
- صمتوا ولم يتكلموا. .
- هاجوا وتلاسنوا.

٢. **قوله: (مُرْبادًّا) يشير إلى:**

- الغبرة والسواد. .
- الصفاء والنقاء.
- القوة والثبات.

٣. **قوله ﷺ (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ) يماثل قوله تعالى: (وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ ﴿٤١﴾) المائدة:٤١).**

- (وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾) الأنبياء:٣٥). .
- (إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) الصافات:١٦٣).

٤. **قوله تعالى: (وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ﴿١٤٦﴾) الأعراف:١٤٦) يُقدِّم:**

- وصفًا لحال المتلبس بالفتن. .
- لونًا من ألوان الفتن.
- نموذجًا لخصائص الفتن.

س٢: بَرْهِن من خلال الحديث على خطورة الوقوع في الفتن.

.....

.....

.....

س٣: وضح أهمية الاجتهاد واليقظة والعمل الصالح في مواجهة الفتن.

.....

.....

.....

.....

.....

.....